وفي ظل هذا التفريق بات علينا أن نشرح طبيعة الكلمة في المعجم فنقول:

المعروف أن اللغة باعتبارها نظامًا أكبر، لا بد من أن تكون صامتة وقد أشرنا الى ذلك لأن النظام لا ينطق، بل الذي ينطق هو الكلام في إطار هذا النظام. والمعجم جزء من اللغة لا من الكلام ومحتوياته المختزنة في ذهن الفرد أو المقيدة بين دفتي الكتاب.

ولو لم تكن الكلمة المعجمية صامتة في ذاكرة المجتمع أو بين دفتي المعجم لكانت بالضرورة منطوقة على ألسنة المتكلمين. فالفرد يحوّل الكلمة من الصورة الى الحقيقة الحسية، سمعيًا أو بصريًا، ويحولها من الإفراد، وهو طابع المعجم، الى السياق الاستعمالي، وهو طابع الكلام. فالفرق بين الكلمة واللفظ هو الفرق بين اللغة والكلام. فاللغة، والكلمة وحدة من وحداتها، صامتة. والكلام، واللفظ جزء من نسقه، محسوس.

واللغة سكون والكلام حركة[1].

إن «علم البيان» وهو فرع من فروع «علم البلاغة» يصلح أساسًا نظريًا لبناء علم خاص بدراسة المعجم نظريا وعمليا، يسمى «علم المعجم»، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً. وهذا العلم من الجانب النظري، يمكن أن يشرح لنا كيفية وضع الكلمات وهي رموز للمعاني فيتناول الاشتقاق والارتجال والتعريب والنحت والتوليد... ويشرح كذلك القيمة العرفية لدلالة الكلمة مبيّنا الفرق بين العرف

(١) تمام حسان: اللغة العربية ص٣١٧.